الباب الثانى

الإسكندرية فى العصر الفاطمى

الفصل الأول: المنشآت الدينية والعلمية.

الفصل الثانى: الإسكندرية أول مدينة مصرية أنشئت فيها المدارس فى العصر الإسلامى.

الفصل الثالث: التقدم العمرانى لمدينة الإسكندرية فى العصر الفاطمى.

الفصل الرابع: مشاركة الإسكندرية فى الأحداث السياسية الفاطمية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

المنشآت الدينية والعلمية

فى العصر الفاطمى

بدأت الإسكندرية تتصل بالمغرب اتصالاً وثيقًا منذ أوائل القرن الرابع الهجرى (١٠م) حين نجحت الدولة الفاطمية فى إقامة ملك جديد لها على أنقاض ملك الأغالبة فى إفريقية (تونس)، فقد كانت الإسكندرية الهدف الأول لحملات الفاطميين الأولى على مصر - برًا وبحرًا -، وبها نزلت جنود هذه الحملات الأولى الفاشلة وأساطيلها، وبها نزلت أول ما نزلت جنود وأساطيل الحملة الفاطمية الرابعة التى نجحت فى فتح مصر وامتلاكها [١].

ومنذ ذلك الحين أخذت الإسكندرية - شأنها فى ذلك مصر جميعًا - تزدهر ازدهارًا عظيمًا، فأصبحت مصر مقر الخلافة الفاطمية، كما أصبحت الإسكندرية مقر أسطول هذه الخلافة، وللفاطميين عناية كبيرة بالأسطول منذ قامت دولتهم فى إفريقية، وهى بعد هذا كله الطريق إلى منشأ ملكهم فى المغرب الذى أصبح ولاية تابعة لمصر، فلا عجب إذن أن عنى الفاطميون بالإسكندرية عناية خاصة. فأقاموا بها المنشآت الكثيرة، ولبعض هذه المنشآت أهمية كبرى لأنها تساعد على تحديد معالم المدينة وطبوغرافيتها، وأهم هذه المنشآت مما ذكره لنا المؤرخون:

١ - جامع العطارين:

ويخطئ بعض المؤرخين فيذكر أن الذى بناه هو بدر الجمالى، وزير الخليفة المستنصر، ولكن الصحيح أنه كان يقوم مكانه مسجد قديم أنشئ على أنقاض كنيسة قديمة، فلما زار بدر الجمالى الإسكندرية فى سنة ٤٧٧هـ وجد هذا المسجد مهدمًا، فأمر بتجديد بنائه والصرف عليه من أموال أخذها من أهل البلد، يؤكد ما ذكرنا النص الذى تحمله اللوحة الرخامية التذكارية التى ثبتها بدر فى الجامع لتأريخ هذا الحادث، والتى لا تزال موجودة فى الجامع إلى اليوم أسفل المئذنة إلى يسار الداخل من الباب الشمالى الشرقى، ونص ما عليها:

---

(١) لاستيعاب تفاصيل هذه الحملات انظر (المقريزى، اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، نشر الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٤٨م) و (الدكتور حسن إبراهيم حسن: الفاطميون فى مصر)، ولنفس المؤلف بالاشتراك مع الدكتور طه شرف: (عبيد الله المهدى، والمعز لدين الله).

«بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله﴾ (١)، مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام، وناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين، أبو النجم بدر المستنصرى عند حلول ركابه بثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابًا، فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفى إلى الله تعالى، وذلك فى ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربعمائة».

وتوجد حاليًا لوحة أخرى أعلى هذا الباب الشمالى الشرقى من الخارج تنسب هذا المسجد ضريح ينسب إلى محمد بن سليمان بن خالد بن الوليد – الصحابى الكبير – كما يوجد فى داخل المسجد ضريح ينسب إلى محمد بن سليمان هذا، وليس هذا بصحيح كذلك، والحقيقة أن صاحب هذا الضريح عالم مغربى متأخر هو محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف الملقب بزين الدين، وأصله من المغرب الأقصى، قدم به والده إلى الإسكندرية وهو صغير، واستوطنها إلى أن مات بها، وبعد وفاته أقبل الابن على العلم، وأخذ عن تلاميذ الحافظ السلفى وعن المحدث المشهور والعلامة الكبير عبد الوهاب بن فتوح السكندرى المتوفى سنة ٦٤٨هـ، ولهذا نبغ فى علم الحديث، وكان يلقى دروسه فى هذا المسجد، واتخذه مسكنًا له إلى أن توفى فى ١٤ ذى الحجة من سنة ٧١٧هـ فدفن فيه.

وقد أشار المقريزى فى «مخطوطة اتعاظ الحنفاء» إلى بناء بدر الجمالى لهذا الجامع أثناء زيارته لمدينة الإسكندرية فى سنة ٥٧٧هـ، وقال إن البناء فرغ منه فى شهر ربيع الأول، وأقيمت فيه الجمعة، واستمرت تقام به إلى أن زالت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين، فأمر ببناء جامع جديد، ونقل الخطبة من جامع العطارين إليه.

٢ – مسجد أبى بكر الطرطوشى:

بناه خارج باب البحر بعد سنة ٥١٠هـ فى خلافة الآمر الفاطمى ووزارة المأمون البطائحى، انفرد بذكر هذا المسجد المؤرخ تقى الدين أحمد بن على المقريزى فى النسخة الخطية الكاملة الوحيدة من كتابه «اتعاظ الحنفا» التى عثرنا عليها أخيرًا فى مكتبة (طوب قبو سراى) باستانبول، والتى نعدها الآن للنشر، فقد ذكر بها أن الطرطوشى انتقل من الإسكندرية إلى القاهرة فى سنة ٥١٠هـ لزيارة الوزير المأمون البطائحى، وليقدم له كتابه الذى ألفه باسمه وهو كتاب «سراج الملوك»، فأكرمه المأمون وخلع عليه، وفى ذى الحجة من هذه السنة حضر الفقيه أبو بكر لوداع الوزير، وعرفه ما عزم عليه من إنشاء مسجد جامع بظاهر الثغر على البحر،

---

(١) سورة التوبة الآية ١٨

فكتب إلى ابن حديد (قاضى الإسكندرية) «بموافقة الفقيه على موضع يتخيره، وأن يبالغ فى إتقانه وسرعة نجازه، وتكون النفقة عليه من مال ديوانه دون مال الدولة، وتوجه فبنى المسجد المذكور عند باب البحر». وهذا المسجد من المساجد التى زالت وعفت آثارها.

٣ - مسجد المؤتمن أخى المأمون البطائحى:

وبعد هذا السنة بقليل بنى مسجد آخر هام، بناه المؤتمن سلطان الملوك نظام الدين، أبو تراب حيدرة، أخو الوزير المأمون البطائحى فى المحجة الكبرى - وهى ما نرجع أن تكون الشارع الأكبر الممتد من باب رشيد إلى باب البحر -، وقد بنى هذا المسجد فى سنة ٥١١هـ، أو ما بعدها، ففى تلك السنة عين المؤتمن واليًا على الإسكندرية والأعمال البحرية، وقد ذكر المقريزى أنه بنى هذا المسجد أثناء مقامه فى هذا الثغر.

٤ - تجديد سور الإسكندرية:

جدد هذا السور فى آخر عهد الخليفة الآمر فى سنة ٥١٧هـ، فقد قال المقريزى عند ذكر حوادث هذه السنة: «وفيها جددت عمارة سور الإسكندرية» وإن كان لم يفصل أخبار هذا التجديد.

٥ - مدرسة الفقيه المحدث أبى الطاهر بن عوف:

وقد بناها له فى سنة ٥٣٣هـ رضوان بن ولخشى وزير الخليفة الحافظ الفاطمى وأسند إليه التدريس بها.

٦ - مدرسة الحافظ السلفى:

وقد بناها له فى ٥٤٤هـ العادل بن السلار وزير الخليفة الظافر، وفوض تدريسها إليه.

٧ - برج ضرغام عند باب البحر:

ذكره المقريزى فى حوادث سنة ٥٥٧هـ، قال:

«وفيها شاد الأمير أبو الأشبال ضرغام بن سوار البرج عند باب البحر بالإسكندرية، فعرف ببرج ضرغام».

وقد لعب هذا البرج دورًا كبيرًا فى الدفاع عن المدينة ضد كل المغيرين الذين حاولوا الهجوم عليها، ويبدو واضحًا فى الخريطة التى رسمت للمدينة فى القرن الخامس عشر الميلادى.

obeikandl.com

الفصل الثانى

الإسكندرية أول مدينة مصرية

أنشئت فيها المدارس فى العصر الإسلامى

والرأى المعروف المتداول أن حركة إنشاء المدارس فى مصر الإسلامية بدأت مع قيام الدولة الأيوبية فيها، وذلك حينما أسس صلاح الدين يوسف بن أيوب وأفراد أسرته، وكبار رجال دولته المدارس المختلفة فى الفسطاط والقاهرة وغيرها من مدن مصر.

ولكننا نرى أن المدارس أنشئت أول ما أنشئت فى مدينة الإسكندرية وفى العصر الفاطمى، أى قبل إنشاء صلاح الدين لمدارسه فى الفسطاط والقاهرة، ولإثبات هذه الحقيقة نناقش الأقوال التى أوردها المؤرخون حول هذا الموضوع.

كان صلاح الدين بإنشائه هذه المدارس يتبع سياسة موضوعة، وينفذ خطة مدروسة للقضاء على المذهب الشيعى، ونشر المذهب السنى، مقتفيًا فى ذلك سياسة أستاذه نور الدين محمود بن زنكى، ففى سنة ٥٦٦هـ أنشأ صلاح الدين - وهو بعد لا يزال وزيرًا للخليفة الفاطمى العاضد - مدرسته الناصرية فى الفسطاط لتدريس المذهب الشافعى، يقول المقريزى فى حديثه عن هذه المدرسة: «وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة»، ثم يعقب على هذا بقوله: «وهى أول مدرسة عملت بديار مصر»، وهذه الجملة الأخيرة تحتاج إلى تحقيق وتصحيح، ذلك أن ابن خلكان يقول فى ترجمته للعادل أبى الحسن على بن السلار - وزير الخليفة الظافر الفاطمى:

> «وكان ظاهر التسنن، شافعى المذهب، ولما وصل الحافظ أبو طاهر أحمد السلفى إلى ثغر الإسكندرية المحروس وأقام به، ثم صار العادل المذكور واليابه (أى بالثغر) احتفل به وزاد فى إكرامه، وعمر له مدرسة فوض تدريسها إليه، وهى معروفه به إلى الآن، ولم أر بالإسكندرية مدرسة للشافعيين سواها».

ومن الممكن أن يقال - اعتمادًا على نص ابن خلكان هذا - أن ابن السلار - لا صلاح الدين - هو أول من أوجد المدارس بديار مصر، وأن الإسكندرية هى أول مدينة مصرية عرفت المدارس، وذلك لأن ابن السلار كان - كما يذكر ابن خلكان - سنيًا شافعيًا، كما كانت له اتصالات سياسية بنور الدين محمود بن زنكى فى الشام.

ونحن نستطيع أن نقول إن قول ابن خلكان لا يزال يحتاج - كما احتاج قول المقريـزى - إلى تحقيق وتصحيح.

حقيقة أن الإسكندرية كانت أول مدينة مصرية عرفت المدارس، ولكن مدرسة السلفى لم تكن أول مدرسة أنشئت فى الإسكندرية، وإنما سبقتها مدرسة أخـرى هـى المدرسـة الحافظيـة التـى أنشأها رضـوان بـن ولخشـى - وزيـر الخليفـة الحـافظ الفـاطمى - للفقيـه المـالكى أبـى الطـاهر بن عوف، وقد بنيت هذه المدرسة الحافظية قبل المدرسة السلفية باثنتى عشرة سنة، فقد بنيـت الأولى فى سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م - ١١٣٨م)، وبنيت الثانية فى سنة ٥٤٤هـ (١١٤٩م).

وأبو الطاهر بن عوف [1] هو هـو إسـماعيل بـن مكـى بـن إسـماعيل بـن عيسـى، بـن عـوف الزهرى، وينتهى نسبه إلى عبد الرحمن بن عوف الصحابى الجليل، وقد كان شيخ المالكية فـى مدينة الإسكندرية طوال القرن السادس الهجرى (١٢م) دون منازع، فقد ولـد فـى سـنة ٤٨٥هـ (١٠٩٢م) وتوفى سنة ٥٨١هـ (١١٨٥م) عن ست وتسعين سنة.

---

(١) انظر ترجمته المفصلة فى: (جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية ص ١٠٥ - ١٢٧).

الفصل الثالث

التقدم العمرانى لمدينة الإسكندرية فى العصر الفاطمى

وليس أدل على عمران المدينة وما كانت تزدان فى العصر الفاطمى من دور وقصور فخمة من الوصف الذى حفظه المقريزى فى كتابه الخطط لدار أحد القضاة بها، وهو مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن حديد، فقد وصف القاضى بأنه كان ذا مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة فى كرمه، ومدحه كبار شعراء الإسكندرية فى عصره ومنهم ظافر الحداد وأمية ابن أبى الصلت وغيرهما وذكر المقريزى فى وصفه لدار هذا القاضى أنه كان بها بستان جميل به نافورة كبيرة تتكون من قطعة واحدة من الرخام البديع ينحدر فيها الماء فتكون كالبركة فى اتساعها، وذكر المقريزى أن صاحبها كان يباهى بها أهل العصر إلى أن علمت بها البدوية حبيبة الخليفة الآمر الفاطمى فطلبتها منه، ولم يستطع القاضى ابن حديد إلا أن يستجيب لرغبتها ولأمر الخليفة، وحملت النافورة إلى القاهرة، وركبت فى بستان «الهودج»، وهو القصر الجميل الذى بناه الخليفة الآمر لمحبوبته فى جزيرة الروضة، وتألم ابن حديد لفقده هذه النافورة ألما بالغًا، ومازال يتقرب للبدوية وحاشيتها بالهدايا إلى أن أمرت برد النافورة إليه.

ويروى المقريزى أثناء كلامه عن القاضى ابن حديد حادثة أخرى يستدل بها على مبلغ ما كان يتمتع به أعيان الإسكندرية وأثرياؤها من حياة كلها ترف وغنى ورفاهية، وما كانت تضمه قصورهم من تحف جميلة وطرف رائعة، قال:

«وكان هذا المكين متوليًا قضاء الإسكندرية ونظرها فى أيام الآمر، وبلغ من علو همته وعظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة - أخا الوزير المأمون البطائحى - لما قلده الآمر ولاية ثغر الإسكندرية فى سنة سبع عشرة وخمسمائة، وأضاف إليه الأعمال البحرية، ووصل إلى الثغر، ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور، فأمر فى الحال بعض غلمانه بالمضى إلى داره لإحضار دهن شمع، فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا أن أحضر حقًا مختومًا، فك عنه فوجد فيه منديلاً لطيفًا مذهبًا على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت، كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر: بيت دهن بمسك، وبيت دهن بكافور، وبيت دهن بعنبر طيب، ولم يكن فيه شىء مصنوع لوقته، فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن

والحاضرون من علو همته، فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ فى شكر إنعامه وحلف بالحرام إن عاد إلى ملكه، فكان جواب المؤتمن: قد قبلته منك لا لحاجة إليه، ولا لنظر فى قيمته، بل لإظهار هذه الهمة وإذاعتها، وذكر أن قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار».

ويعلق المقريزى على هذا بقوله:

«فانظر – رحمك الله – إلى من يكون دهن الشمع عنده فى إناء قيمته خمسمائة دينار، ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج إليه البتة، فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجميلات..».

وشبيه بقصر ابن حديد قصور كثيرة رائعة كانت تزدحم بها الإسكندرية فى العصر الفاطمى، ومنها قصر بنى خليف – إحدى الأسر الكبيرة فى المدينة، وقد وصفه على بن ظافر الأزدى وصفًا رائعًا فى كتابه «بدائع البدائه»، وأثبت أبياتا من الشعر قالها ابن قلاقس الشاعر السكندرى فى وصف هذا القصر وجمال غرفه وشرفاته والبستان المحيط به.

الفصل الرابع
مشاركة الإسكندرية فى الأحداث السياسية

ولمكانة الإسكندرية كثغر حربى وميناء تجارى، ولازدياد عدد المغاربة بها فى هذا العصر الفاطمى، ولقربها من المغرب - موطن الدولة الفاطمية الأول - ظلت تشارك فى الأحداث السياسية الهامة التى حدثت فى عصر هذه الدولة:

- فلما حدثت المجاعة الكبرى فى عهد المستنصر نتيجة لقصور فيضان النيل، واشتد الغلاء، وعدمت الغلال، وانتشر الوباء، وضاعت هيبة الخليفة، وانتشرت الفتن فى أنحاء مصر، استعان الخليفة المستنصر بواليه على عكا أمير الجيوش بدر الجمالى، فاستدعاه إليه، وعينه وزيرًا، وعهد إليه بمعالجة الأزمة، والقضاء على المشاغبين ومثيرى الفتن.

وبدأ بدر الجمالى فى سنة ٤٦٧هـ بالبلاد الواقعة شرقى فرع دمياط فتتبع المفسدين وقضى عليهم ، ثم انتقل إلى البحيرة والإسكندرية، وكانت طائفة الملحية - وهى إحدى طوائف الجيش الفاطمى - قد أثارت الفتنة فى المدينة، وأعلنت العصيان، فحاصر بدر الجمالى الإسكندرية أيامًا إلى أن استولى عليها عنوة، وقتل من الملحية عدة كثيرة.

- وفى سنة ٤٧٧هـ خرج على بدر الجمالى ابنه الأوحد، وانضم إليه جماعة من العسكر والعربان، ولجأ إلى مدينة الإسكندرية وتحصن بها، فسار إليه أبوه وحاصره مدة، وألح عليه بالقتال حتى هزمه ودخل المدينة، وخلال الزيارة، جدد بدر الجمالى مسجد العطارين بعد أن رآه مهدمًا كما سبق أن ذكرنا.

- وعند موت الخليفة المستنصر فى سنة ٤٨٧هـ بادر وزيره الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالى فأجلس أبا القاسم أحمد أصغر أولاد المستنصر على عرش الخلافة، فغضب الابن الأكبر نزار، وفر إلى الإسكندرية وفى صحبته ابن مصال أحد قواد الدولة، وهناك اتصل به الأمير أفتكين والى المدينة ووعده أن يوليه الوزارة إن هو وقف إلى جانبه، فاستجاب لدعوته، وأقنع سكان المدينة بمبايعته، ولقبه بالمصطفى لدين الله.

وخرج الأفضل شاهنشاه بجيش من القاهرة واتجه إلى الإسكندرية، وجرت بين الفريقين حروب انتصر فيها نزار، وعاد الأفضل إلى القاهرة وقوى أمر نزار، واستولى على بلاد الوجه البحرى، ولكن الأفضل جهز جيشًا جديدًا وحاصر الإسكندرية حصارًا شديدًا، فاشتد الضيق بنزار وصحبه، فجمع ابن مصال ماله، وفر فى البحر إلى بلاد المغرب، ففت ذلك فى عضد

نزار، وانتهى الأمر بهزيمته، ودخل الأفضل الإسكندرية، وقبض على نزار وأرسله إلى القاهرة حيث قتله بها، واستقر أبو القاسم أحمد خليفة ولقب بالمستعلى، وانقسمت الشيعة الإسماعيلية منذ ذلك الوقت إلى فريقين:

الإسماعيلية النزارية، والإسماعيلية المستعلية، وكان هذا الانقسام المذهبى من أهم الأسباب التى أدت إلى أضعاف الدولة وانحلالها وسقوطها بعد ذلك.

– ولما توفى الخليفة الحافظ فى سنة ٥٤٤هـ ولى الخلافة بعده ابنه الظافر بأمر الله، فأقام الأمير نجم الدين بن مصال وزيرًا له، فلم يرض الأمير على بن السلار – والى الإسكندرية والبحيرة يومئذ – بوزارة ابن مصال، وحشد جيوشه وسار بها إلى القاهرة، ففر ابن مصال، واستقر ابن السلار فى الوزارة، ولقب بالعادل.

وفى أيام الخليفة الفائز كان صاحب السلطان الفعلى هو وزيره الصالح طلائع بن رزيك، وفى عهده ثار أحد رجاله وهو طرخان بن سليط بن طريف والى الإسكندرية، وجمع حوله عربان البحيرة، وخلع طاعة الصالح، ولقب نفسه بالملك الهادى، وانضم إليه أخوه إسماعيل، وخرج الأخوان بجموعهما من الإسكندرية، وعسكرا عند دمنهور، فأرسل إليه الصالح جيشاً على قيادته الأميران: المظفر عز الدين حسام، ومجد الخلافة أسد الدين ورد، وهزم طرخان وفر إلى الجيزة، فاختفى بها إلى أن قبض عليه، وصلب هو وأخوه إسماعيل على باب زويلة. حدثت هذه الفتنة فى سنة ٥٥٥هـ وقد علق عليها المقريزى بقوله:

«وكان أبو طرخان فرانا، فترقى فى أيام الفتن حتى ولاه الصالح الإسكندرية فى سنة ٥٥٣هـ».

وكان لهذه الحوادث جميعًا – دون شك – أثر فى تخريب المدينة أو العناية بها، بدليل قول المقريزى عند كلامه على خروج الأفضل لقتال نزار فى الإسكندرية سنة ٤٨٨هـ:

«وحاصرها ونصب عليها المجانيق وألح عليها بالقتال، ومنع عنها الميرة».

وقد شارك ميناء الإسكندرية مشاركة فعالة وقوية فى الدفاع عن شواطئ مصر، فعناية الفاطميين بالأساطيل قديمة منذ كانوا فى المغرب ومنذ أنشئوا دار صناعتهم الأولى فى مدينة المهدية، وقد استأنفوا عنايتهم بوسائل الدفاع البحرية بعد انتقالهم إلى مصر فعنوا عناية كبرى بدور الصناعة فى الإسكندرية ودمياط، وفى النيل عند جزيرة الروضة والمقس، وبنوا الأساطيل الضخمة، ومن الإسكندرية كانت تخرج هذه الأساطيل لمقاتلة سفن الأعداء أو للغزو فى البحر، وكانت الدولة الفاطمية تحتفل احتفالات رائعة بعودة هذه الأساطيل المظفرة.

وفى المراجع التاريخية بعض الأمثلة التى تعطينا صورة واضحة عن الدور الذى لعبه أسطول الإسكندرية فى حماية المدينة وفى الغزو البحرى أثناء العصر الفاطمى، قال المقريزى فى كتابه «اتعاظ الحنفا» عند الكلام عن حوادث ربيع الأول سنة ٣٨٣هـ، أى فى عهد الخليفة العزيز بالله:

«وكانت وقعة فى البحر مع الروم بنواحى الإسكندرية، أسر فيها من الروم سبعون.. ووردت مراكب الروم إلى الإسكندرية، فسار بها إليها العسكر فى البر والأسطول فى البحر، فولوا من غير حرب إلى الشام، فسار الأسطول إليهم، وزيد فيه ثمانية عشر مركبًا مشحونة بالسلاح والمقاتلة».

وقال فى وصف الاحتفال بعودة هذا الأسطول منتصرًا فى جمادى الأولى سنة ٣٨٤هـ.

«وصل غزاة البحر إلى القاهرة بمائة أسير، فزينت القاهرة ومصر أعظم زينة، وركب العزيز وابنه منصور وشق الشوارع، ثم ركب فى عشارى (نوع من السفن النيلية) ومعه العشاريات سائرة إلى المقس، ثم ركب من المقس إلى القصر فكان يوماً عظيما لم ير بمصر مثله، وقال فيه الشعراء».

وممن عنى بالمدينة من خلفاء الفاطميين الخليفة الحاكم بأمر الله فقد ذكر المقريزى أنه: «أطلق لحفر خليج الإسكندرية فى سنة أربع وأربعمائة خمسة عشر ألف دينار، فحفر كله».

ولكن المقريزى يذكر أن الحاكم - رغم عنايته هذه بحفر خليج الإسكندرية - قد أمر بهدم جامع عمرو بن العاص بهذه المدينة فى شعبان سنة ٣٩٤هـ، ومع هذا لم يذكر السبب الذى دفعه إلى هدمه.